**محاضرة رقم2: المدخل المنهجي التاريخي في دراسة المدينة والظواهر الحضرية**

**عناصر المحاضرة رقم2:**

**تمهيد**

1. **في حدود المنهج التاريخي**
2. **القواعد الأساسية للمدخل المنهجي التاريخي**
3. **توظيف المدخل المنهجي التاريخي في دراسة المدينة والظواهر الحضرية**

**تمهيد:**

يعتقد العديد من الباحثين أنه بحديثنا عن المنهج التاريخي في علم الاجتماع، أننا نتحدث عنه بنفس الصيغة الإجرائية التي يستخدم بها في الدراسات والأبحاث التاريخية، بينما الأمر خلاف ذلك، فيشير المدخل التاريخي في علم الاجتماع إلى التتبع التاريخي لنشأة الظواهر الاجتماعية لفهمها في السياق الحاضر، بمعنى لا يهتم علم الاجتماع بالظواهر من زاوية تاريخية محضة، وإنما يدرس الخلفية التاريخية للظاهرة الاجتماعية لفهمها في الزمن الحاضر، انطلاقا من مبدأ منهجي أساسي، يرى أن كل ظاهرة هي نتاج سياق تاريخي، وليست وليدة اللحظة الزمنية الراهنة، مع التأكيد، أنه ليس شرطا أن نستخدم هذا المدخل في دراسة كل الظواهر الاجتماعية.

**1- في حدود المنهج التاريخي:**

- ارتكزت سوسيولوجيا المدينة على المدخل المنهجي التاريخي في دراسة العديد من الظواهر الحضرية، كالتحضر، الهجرة، والاندماج الاجتماعي للمهاجرين، والنمو الحضري، وغيرها، فالكثير من هذه الظواهر يتشكل عبر سياقات تاريخية معينة، مثلا ظاهرة التحضر التي عرفتها المدن في العالم لم تكن وليدة يوم وليلة، وإنما امتدت عبر قرون زمنية عديدة، ونفس الشيء مع الظاهرة الحضرية في أي مجتمع إنساني، فمثلا عرفت الظاهرة الحضرية في المجتمع الجزائري حركة مد وجز عبر مختلف الأزمنة، لذلك من المهم أن نوظف المداخل التاريخي في فهم هذه الظواهر.

- إذا تفحصنا بعض الدراسات في علم الاجتماع الحضري التي وظفت المدخل المنهجي التاريخي، نجد الدراسة الشهيرة لعبد الرحمن ابن خلدون عندما تناول تاريخ الدويلات التي ظهرت في شمال إفريقيا، وكيف تحولت المجتمعات المحلية من حالة البداوة إلى حالة الحضر، والخصائص التي أصبح يستم بها المجتمع الحضري، وكذلك نجد دراسة لويس ممفرد حول نشأة وتطور المجتمعات الغربية، ودراسة ماكس فيبر حول نشأة المدينة في المجتمعات الغربية، وريمون آرون في دراسته حول نشأة وتطور المجتمعات الصناعية.

- تستخدم كل العلوم المنهج التاريخي في التأريخ لممارساتها البحثية وتطور نظرياتها ومفاهيمها، وكذلك نجد أن المفاهيم التي يستخدمها الباحث في علم الاجتماع، محكومة بالسياق التاريخي، بمعنى أن المنتج السوسيولوجي يخضع لنوع من السياقية التاريخية، مثلا مفهوم الطبقة الاجتماعية الذي استخدمه ماركس كأداة لتحليل المجتمعات الصناعية الرأسمالية، لم يعد يملك هذا المفهوم أبعادا إجرائية في مجتمعات الثورة الاتصالية، وهكذا، الكثير من المفاهيم والنظريات أتت كاستجابة للواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للمجتمعات.

- رغم التوظيف المباشر أو الخفي للمنهج التاريخي في الدراسات السوسيولوجية، إلا أن هناك صراع بين علم التاريخ وعلم الاجتماع، وادعاء كل واحد منهما بأحقيته في تفسير التطور والتغير الذي يعتري المجتمعات، فإذا كان التاريخ يدرس الأزمنة الماضية، فان السوسيولجيا تدرس الزمن الحاضر، إلا أن هذا الحاضر في لحظة أخرى يصبح من الماضي، لذلك انفتحت المدرسة التاريخية على العلوم الاجتماعية للدراسة الظواهر التاريخية المتعلقة بالإنسان والمجتمع، وكذلك استفاد السوسيولوجين من الدراسات التاريخية في دراسة الظواهر الاجتماعية، مثلا دراسة عدي الهواري حول دور الاستعمار الفرنسي في تفكيك بينة مجتمع الجزائري.

2**- القواعد الأساسية للمدخل المنهجي التاريخي:**

1-النظر إلى الظواهر الاجتماعية والإنسانية على أنها نتاج تفاعلات ثقافية واجتماعية لمجتمع أو جماعة إنسانية عبر متصل زمني، وفهمها يمر عبر الربط بين المتغيرات التاريخية والمتغيرات الاجتماعية، وتفسيرها يكون بدراسة العلاقة الجدلية التي تربط البنى الاجتماعية بسياقاتها التاريخية.

2- فهم التاريخ الإنساني على أنه سلسلة مترابطة من الأحداث التاريخية، وكأن هناك متوالية زمنية، فهم حاضرها يمر عبر فهم ماضيها، وفهم هذا التاريخ الإنساني يسهم في تحليل المجتمعات الإنسانية في الزمن الحاضر، ويساعد الباحثين في حصر العوامل والأسباب التي أدت إلى تغيرها، كما يسهم في صياغة قوانين تحكم التطور الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإنسانية.

3- يعتمد التفسير التاريخي على رؤية الباحث للظواهر الاجتماعية، فعن طريق التفسير التاريخي يحلل الباحث الظواهر الاجتماعية والإنسانية في زمنها الحاضر، ويستند في تفسيرها إلى الشواهد التاريخية، وتكرارها النسبي عبر التاريخ، كدراسة الحركات الاجتماعية والثروات السياسية وغيرها.

4- ضرورة الاحتراز المنهجي عند استخدام المدخل المنهجي التاريخي في دراسة الظواهر الاجتماعية، كتحر الموضوعية، وعدم الوقوع في القراءة الايديولوجية للتاريخ والوقائع التاريخية، وما ينجر عن ذلك من قراءات تعسفية للواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للمجتمعات الراهنة.

**3- توظيف المدخل المنهجي التاريخي في دراسة المدينة والظواهر الحضرية:**

1- من المسلمات التي ننطلق منها في استخدام المدخل المنهجي التاريخي في الدراسات الحضرية، هي أن المدينة والظواهر الحضرية هي ظواهر تاريخية بالأساس، فالمدينة ليست وليدة اللحظة الراهنة، وإنما هي وليدة سياق تاريخي، وبالتالي، لفهم المدينة سوسيولوجيا يجب على الباحث أن يقدم قراءة تاريخية للكيفية التي نمت ببها وتطورت.

2- نجد من المقاربات السوسيولوجية التي اعتمدت على المدخل التاريخي في علم الاجتماع الحضري المقاربة الماركسية المحدثة، حيث تنطلق هذه الدراسة رؤية مادية للتاريخ المجتمعات، عبر متصل زمني يمصثل احد طرفي المجتمعات المشاعية والطرف الآخر المجتمعات الرأسمالية، لذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المشكلات والظواهر الحضرية هي نتاج سلسلة من التحولات الاجتماعية الناجمة عن التطور الرأسمالي في المجتمعات الحديثة.

3- يعتبر المدخل المنهجي التاريخي من المناهج الأساسية التي تم توظيفها في علم الاجتماع الحضري، مثلا دراسة ماكس فيبر حول نشأة وتطور المدينة الغربية، دراسة لويس ويرث عن اليغتو، ودراسة رشيد سدي بومدين، حول نشأة الأحياء غير المخططة في الجزائرbedonvil.